

ثقافة قبطية

بقى المجتمع المصري متماسكاً رغم الإختلاف, موحداً رغم التنوع, لا يعرف التقليل من شأن الآخر أو تكفيره أو إخراجهم من دائرة المواطنة. وإسهاماً مناً في تعميق وترسيخ تلك القيم ننشر رؤية بعض الباحثين في ثقافة التعايش المشترك.

الإندماج الوطني 2

الواقع والمعوقات

أ. سمير مرقس

باحث وكاتب

المعوقات

لكن علينا أيضاً أن نعرف أن ثمة عقبات ومعوقات تحول دون تحقيق الاندماج الوطني، أو التعايش المشترك، من بينها ما يمكن تسميته: حالة التجاوز، وهي الحالة التي تبدأ بإنكفاء كل منا داخل دائرته الفرعية الصغيرة، مستبعداً ونافياً الآخر، نعيش حالة من التجاور، كل منا بجوار الآخر لكن دون اندماج أو حتى تفاعل، بل العكس ندخل في سجال، حيث يحمل كل منا في يده (

أفعل التفضيل) فى علاقته بالآخر " أنا الأحسن " ، " أنا الأفضل " . نغرق فى هوياتنا
الخصوصية وندخل فى خصومة مع الآخر .

هنا تبدأ كل جماعة، وهذا هو المعوق الآخر أو العقبة الأخرى فى طريق
تحقيق حالة الاندماج الوطنى، تبدأ كل جماعة فى تشكيل وكتابة تاريخها المستقل
المختلف عن تاريخ الآخر، وعندما يكون هناك لأي أمة أكثر من تاريخ فإنها تكون
فى طريقها إلى الهاوية. فى فرنسا مثلاً، ... لا أحد من أقصى اليمين إلى أقصى
اليسار يختلف على أن الثورة الفرنسية كانت نقطة تحول مهمة ليس فقط على
مستوى فرنسا، بل على مستوى العالم، نعم ينتقدونها أو ينتقدون بعض جوانبها، لكن
لا أحد يختلف على أهميتها، مقابل ذلك ماذا يحدث هنا فى مصر؟ كل جماعة عندنا
لها تاريخها الخاص وترفض وتنفي أي تاريخ آخر، يعنى لدينا أكثر من ذاكرة وبالتالي
أكثر من هوية. هذا الأمر يُسميه بعض الباحثين: " التاريخ المونتاج " بلغة أهل
السينما، يعنى كل جماعة تلتقط من التاريخ ما يتفق وأهوائها وتوجهاتها، وتعتبر أن
هذا هو تاريخ مصر .

من المعوقات أيضاً الواقع الإقتصادي للاقتصاد الربيعي الذى نعيش الآن
مرحلته. والتاريخ يقول لنا إن هناك علاقة شرطية وجدلية بين حالات الاندماج التي
شهدتها مصر مهما كانت طبيعتها أو مدتها، وبين لحظات النهوض الوطنى، يعنى

عندما تكون مصر (واقفة على رجليها)، لا نعود نرى هذا التشظي والتشرؤم الذي نراه الآن.

ومن المعوقات أيضاً التصور الخارجي لشكل المنطقة فى المرحلة المقبلة، وفى موضوع التصوّر الخارجي أو المخططات الخارجية هناك مدرستان، واحدة تلقي اللوم كل اللوم على المخططات والمؤامرات الخارجية، والأخرى تقف عند العوامل الداخلية، وتقول إن الداخل هو الأساس، لكن هناك مدرسة أخرى ...، وهى التى تقول بحالة من التفاعل بين الداخل والخارج، لذلك يجب أن نعرف أولاً أن لدينا هنا فى مصر عوامل ومقومات استغلها الخارج وبنى عليها مخططاته وتصوراتهِ للمنطقة.

أخطر ما فى هذه التصورات والمخططات هو أن الدولة الوطنية القومية ذات الحدود الواضحة انتهى دورها، وعندما يكون هناك حديث عن دولة وطنية، تكون مصر فى القلب منه.

مصر دولة مركزية قومية من أيام الفراعنة، اللعب الآن كما هو واضح على الانقسامات العرقية والمذهبية وهذا هو ما يجري فى العراق وفى لبنان وفى السودان وفى فلسطين، وأتصوّر أن ما تشهده مصر بين فترة وأخرى من توترات دينية ومذهبية ليس بعيداً عن هذه التصورات والمخططات، والمطلوب ليس فقط تقسيمات دينية،

مسلمين ومسيحيين، لكن مطلوب تفتيت هذه الديانات من داخلها، بين طوائف كل منها.

أخيراً توجد مجموعة قصصية جميلة للأديب نجيب محفوظ اسمها صباح الورد، تضم مجموعة قصص قصيرة، بينها قصة عن الشارع الذي انتقل إليه نجيب محفوظ في العباسية، وقد كان يضم 15 عائلة متنوّعة، من علماني إلى وفدي، ومن ملكي إلى تركي الأصل إلى ريفي، لكن هذا الشارع كان قادراً على استيعاب كل هذا التنوّع، وأظن أن هذه هي مصر بوكيه ورد جميل متنوّع، قادرة على استيعاب كل مكوناته كلما كانت معافاة (وواقفة على رجليها) اقتصادياً وثقافياً واجتماعياً، وصباح الورد .

يتبع